يزهار سميلانسكي

خربة خزعة ٢

ـ ٥ ـ

والان ، ونحن نتوغل منحدرين في احد الازقة داخل القرية ، مستغربين ما اذا كان عرضه سيتسع لمرور سيارة الجيب ، ومتأهبين لكل المفاجآت التي قد تحدث ، كان صمت القرية يعود فيوغل في السكون ، خلف اخر واحد منا في الطابور ، مباشرة · وكانت البيوت السجينة بأسوار باحاتها لا تزال تبدو ، لاول وهلة ، تتنفس كسابق عهدها ، ولكن بشيء من الدهشة الحديثة ، ونسيج الاجيال ، ذلك الذي كان قد نسج خطا خطا ، وخيطا خيطا ، بفيض من تفاصيل التفاصيل التي محت معالم كل واحد منا ، وتلاشت ربما منذ زمن ، في التعبير الشامل لشكل ثابت الملامح ، دأب النمل هذا لبناء شيء ما . ذرة بذرة ، والذي كلما كان اكبر واكمل ـ كلما تكشف عار سخفه وتعرى ، وبكى ذل مآله مصيره : كان قد ادين وتم الحكم في الحال عليه ، وتلول الدخان الاولى ، سوف تتصاعد عما قليل هنا وهناك مترددة ، مستحيية بأن كل شيء هنا رطب ويأبى الاشتعال ·

تصاعد بعد ذلك انفجار اخر ، كبير وقوي ، فتلاه العويل على الفور · كان يبدو لنا في البداية انها الصرخات التي سرعان ما ستصمت وتهدأ حين يكتشفون اننا لا نمارس القتل · الا ان العويل ، صرخة حادة ، عالية ومتمنعة ، متمردة ، تبعث على القشعريرة ، كانت لا تزال مستمرة ومتواصلة ، ولا تستطيع الفرار منها · انك لا تستطيع التفكير بشيء اخر ، نافد الصبر انت ، تهز كتفيك وتحدق في رفاقك ، وتود لو تبتعد ، الا ان تلك الصرخة لم تعد زعيق دجاج مطارد خائف ـ بل زئير نمرة لا يزيدها الالم الا غضبا وشرا ، صرخة محكوم بالاعدام يقاد الى المشنقة كارها لجلاده ، متمردا عليه ، صرخة ذات زئير ، صرخة لن اتحرك ، لن استسلم ، اموت ولكن لن تمسوا ، الى ان تشرع الحجارة بالصراخ معها ـ صرخة رهيبة كانت تتعاظم متقطعة ، تقطعات قصيرة لنفس